مطرانية ملوى وأنصنا والأشمونين

٢/٧١٤

ارادة الله وحياتنا

الأنبا بيمن

مطرانية ملوى وأنصنا والأشمونين

إرادة الله وحياتنا

نيافة الأنبا يمين

إسم الكتاب : إرادة الله وحياتنا
إسم المؤلف : الأنبا بيمن
إسم المطبعة : مطبعة مطرانية ملوى
إسم الناشر : مطرانية ملوى
جميع تصويرى : جى . سى . سنتر
رقم الإيداع : ٨٥/٤٨٠٣
الطبعة : الأولى

قضية الإرادة مسيحياً

في هذا المقال نعالج قضية إنسانية هامة ، هي مدى علاقة إرادة الانسان بإرادة الله .

ونود أن نركز على الجانب الكياني والروحي من واقع عملي . تاركين الجوانب الفلسفية والصراعات الفكرية اللاهوتية في هذا المجال .

الإرادة كيانياً :

الله خلق الإنسان كائناً فريداً .. ومن ثم فالإرادة مرتبطة صميمياً بحريته ، التي هي صورة الله في أعماقه . وإرادته خيرة طالما هي خاضعة لمشيئه الله ، وهي ساقطة عندما تبتعد بحريتها عن المجال الالهي .

لم تكن في الانسان ثنائية إرادية ، ولكن السقوط في التجربة ، أنتج في الإنسان هذه الثنائية المريرة .

والرسول بولس عندما عبر عن هذه الثنائية ، فى رسالته إلى رومية . لم يتحدث عن ثنائية كيان فى الإنسان . وإنما التمزع والتضارب والتناقض كان فى الكيان الواحد كلهّ . أى أنه عندما يضع الجسد ضد الروح ، فى ثنائيته الشهيرة (الجسد ضد الروح) ، إنما يعنى الإرادة الهابطة والإرادة السامية وأما البدن والنفس والروح ، أى الكيان الإنسانى كله ، فهو الذى يعانى بصمات السقوط ونتائج العصيان .. فالجموح الذى أصاب الإنسان ، أصابه فى جسده ونفسه وفكره جميعاً . ولكن الصورة الإلهية لم تنمحِ نهائياً من الإنسان .

يقول فى هذا معلمنا بولس : « فانى أعلم أنه ليس ساكن فىَّ ، أى فى جسدى ، شىء صالح . لأن الإرادة حاضرة عندى ، وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد ، لأنى لست أفعل الصالح الذى أريده بل الشر الذى لست أريده فاياه أفعل . فإن كنت ما لست أريده أياه أفعل ، فلست بعد أفعله أنا ، بل الخطية الساكنة فى ولكنى أرى ناموساً آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى ، ويسبينى إلى ناموس الخطية الكائن فى أعضائى ، ويحى أنا الإنسان الشقى من ينقذنى من جسد هذا الموت » (رو ٧ : ١٨ ــ ٢٤) .

الرب يسوع وإرادتنا :

لما وجد الله أن الإنسان لم يثبت فى الحرية الحقيقية ، وأنكسرت قوة إرادته التى كانت تستمد فاعليتها من طاعة البر .. نزل بنفسه إلى عالمنا ، وأخذ ما لنا وأعطانا ما له .

ووهبنا من خلال حياة الشركة المقدسة معه ، طبيعة جديدة وحياة جديدة وإرادة جديدة .

+ ترك الرب لإرادة الإنسان حريتها :

« أتريد أن تبرأ ؟ » .. « هأنذا واقف على الباب وأقرع إن سمع أحد صوتى وفتح الباب أدخل إليه » .. « كم مرة أردت ... ولم تريدوا » .

+ ودعم إرادة الإنسان بوسائط الخلاص :

« تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل » .. « أستطيع كل شىء فى المسيح الذى يقوينى » .. « شكراً لله الذى يقودنا فى موكب نصرته فى المسيح كل حين » .

+ دعانا أن نطلب العمل بمشيئته :

نطلب فى الصلاة الربية أن تسود مشيئته علينا بملء حرية إرادتنا ، كما هى سائدة فى السماء .

إرادتنا فيه :

على ذلك كل من يلتصق بالرب تتدعم إرادته الروحية ، وتتلاشى تدريجياً الثنائية التى يعانى منها . حتى يصبح فعل الخير شبه طبيعة سائدة فى حياة أولاد الله (رو ٦ : ٢) .

على أن حفظ الإرادة من الهبوط يحتاج إلى جهاد مرير ، ومعاناة وصلب للأهواء ويقظة لحروب الجسد وفخاخ العدو .

+ الامر يحتاج إلى إستماته فى حفظ الوصية :

يقول الكتاب المقدس وأما دانيال فقد وضع فى قلبه ألا يتنجس بأطايب الملك وخمر مشروبه .

وسير الشهداء ترينا التصميم المقدس الحازم فى حفظ الوصية ، ضد كل تهديد وإغراء ، وعندما أراد فرعون أن يتفاوض مع موسى فى قضية إخراج شعب الله من نير العبودية قال له موسى « لا يبقى ظلف » .

« من سيفصلنا عن محبة المسيح ، أشدة أم ضيق . أم إضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سيف .. فى هذه جميعها يعظم إنتصارنا بالذى أحبنا » (رو ٨ : ٣٥ــ٣٧) .

كيف أعرف مشيئة الله ؟

هناك أمور يستطيع المؤمن العادى أن يتعرف على مشيئة الله فيها بوضوح . فعندما يقف فى مفارق طرق ، بعضها نيرٌ روحانى ، والبعض الآخر يتسم بأعمال الظلمة ، فإنة سرعان ما يدرك الفارق بين ما هو حق وجليل وصيته حسن ، وبين ما هو من أعمال إبليس وحيله الرديئه . فاللون الأسود واضح ، واللون الأبيض واضح جدا ، وأولاد الله ظاهرون وأولاد إبليس ظاهرون أيضا .

ولكن هناك مواقف أخرى لا تكون بهذا الشكل . فإما أن تكون كلها طاهرة ونيرّة ومطلوب من المؤمن أن يحدد موقفا واحدا من هذه كلها أو أن يكون العدو قد غيّر شكله ، وأخذ شكل ملاك ، وألبس موقفه شكلا مزيفا ، يصعب أحيانا تحديد الفارق بينه وبين مشيئة الله الطاهرة المقدسة .

ولكى نعرف إرادة الله فى حياتنا ، لابد أن نفهم ولو القليل فى طبيعة الله ، كما تعلنه المسيحية لنا .

الله فى اللاهوت المسيحى هو وحدة ثلاثة أقانيم .. إنه واحد .. إنه وحدة الحب ، فجوهر الله كما يعلن الكتاب المقدس المحبة .. المحبة منذ الازل وإلى الأبد .. وهذه المحبة هى فى الحق هو الحق . وهو الحياة الحقيقية ، والحياة هى نور الخليقة كلها .

فالله إذاً وحدة حب وحق وحياة ونور وفرح لا ينطق به ومجيد .

إرادة الله :

ومن هذا المنطلق ، يمكننا أن نفهم إنعكاس هذه الطبيعة الممجدة على مقاصد الله من الإنسان .

+ فالإنسان خلق على صورة الله ومثاله فى الحرية والارادة والنطق والقدرة على الإبداع ، إنه مدعو أن يحقق كيانه ، من خلال تحقيق إرادة الله فيه .

الله يريد له الوحدة ، ولا يقبل له التمزع ، إنه يريد له الحياة ، ولكن الموت دخل إلى البشرية بحسد إبليس .

وهو يدعوه إلى الفرح ، وأما الحزن فهو أحد ثمار الخطيئة والعصيان . فيوم أن يسعى الإنسان إلى تنفيذ مقاصد الله نحوه ، فإنه يحقق متطلباً كيانياً ، ويستجيب إلى نداء إنسان

داخلى .

+ والإنسان خلق سيداً على الخليقة المادية كلها . ودعى إلى أن يسود على الأرض والكائنات أجمعها ، فهو كاهن الخليقة وشفيعها أمام الله . يجمع فى طبيعته العالم الأرضى والعالم السمائى . إنه يحتضن الخليقة كلها فى كيانه ، ويقدم التسبيح والشكر لله نيابه عنها : فيوم أن ينفذ الإنسان إرادة الله فيه ، فإنه يحقق الدور الذى من أجله خلق على الأرض رئيساً وسيداً .

+ وإرادة الله كما يعلنها لنا بولس الرسول ، أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون . هى إرادة صالحة فى كل أهدافها . وهى إرادة مرضية فى كل طرقهاووسائطها وهى إرادة كاملة ، لأنها عمل الروح القدس فى حياتنا . لقد كان آدم فى الجنة يعرف جيداً إرادة الله ومقاصده الصالحة ، ولكنه بعد السقوط صار تفكيره جسدياً ، وضعفت الرؤية الروحية . وجاء المسيح ليعيد إلينا البصيرة ، ووهبت لنا الكنيسة المعمودية والميرون المقدس ، لندرك الحق ونحبه فنحيا له .

+ وهى صالحة أولا أى انها لا تبغى إلا الصلاح وحده فمشيئة

الله لا ترضى بطريق غير صالح مهما كانت الظروف أو الاحوال ، لان الله نفسة صالح وإلى الأبد رحمته . وهى لا تقبل ما هو للذات . لان الذين يسلكون حسب الجسد لا يرضون الله .

+ وهى مرضية بمعنى إنه إن كان الهدف صالحا فالوسيلة أيضا يلزمها أن تكون بنفس مستوى الهدف ، فالمسيحية لا تؤمن بنظرية ميكافيللى القائلة (الغاية تبرر الوسيلة) ، الوسيلة فى المسيحية كالغاية تماما ، كلاهما يلزم أن يكون طاهرا وصالحا ، لأن المسيح هو الطريق ، وهو الألف والياء ، البداية والنهاية . ومن إتخذ المسيح منهج حياته فلابد أن يبدأ به حياته وإليه تنتهى مسيرة خلاصه .

+ وهى كامله بمعنى أنها لا تقف عند حد الصلاح البشرى أو الفضائل الإجتماعية ، وإنما تتعدى مشيئة الجسد ومشيئة الرجل لتصل إلى طبيعة الذين ولدوا من الله . هذه الطبيعة السماوية المعجزية التى لم يفهمها نيقوديموس ، ولكن شرح معلمنا الرب يسوع إنها ولاده من فوق . فالمشيئة الإلهية فى حياة الناس تكون صالحة فى هدفها ، مرضية فى طرقها ،

وكاملة عندما يكون روح الله هو العامل فى حياة الانسان .. كما عبّر المغبوط بولس : « أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىّ » (غلا ٢ : ٢٠) .... الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الرب » (رو ٨ : ١٤) .

والمعالم الاربعة التى ترشد الانسان فى تحسسه مشيئة الله فى حياته تتحدد فيما يلى :

١ ــ روح الله الساكن فينا :

فى صلاة الساعة الثالثه تعلمنا الكنيسة فى تلاوة الانجيل المقدس انه متى جاء المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب بإسم الرب يسوع فهو يعلمنا كل شىء ويذكرنا بكل ما قاله لنا الرب .

والقديس يوحنا يشرح هذا قائلا : « وأما أنتم فالمسحة التى أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم الى أن يعلمكم أحد ، بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شىء وهى حق وليست كذبا . كما علمتكم تثبتون فيه » (١يو ٢ : ٢٧) .

أليس هذا هو تحقيق الوعد النبوى الذى أشار إليه بولس الرسول فى العبرانين « أجعل نواميسى فى أذهانهم وأكتبها على قلوبهم وأنا أكون لهم إلها وهم يكونون لى شعبا . ولا يعلمون كل واحد قريبة وكل

واحد أخاه قائلا أعرف الرب ، لأن الجميع سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم . لأني أكون صفوحا عن آثامهم ، ولا أذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد فإذ قال جديدا عتق الأول . وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الإضمحلال » (عب ٨ : ١٠ــ١٣) .

ومعنى هذا أن الإنسان الروحي يلزمه أن يتدرب على أن يسأل روح الله الساكن فيه وأن يستشير الرب الذى إرتضى أن يسكن صهيون أفضل من جميع مساكن يعقوب وصهيون هذه هى قلب المؤمن وحياته الداخلية . إن معاملات الله الروحية مع أولاده تتسم بالعمل الباطنى Mystical ، (سرى) وكل من يفقد هذا التعامل يحرم نفسه من أعظم عطية يمنحها الله للإنسان المؤمن ، وهو إنه يتكلم الله معه بالسلام فى القلب وليس فى الخارج ولا بالرؤى والأحلام .

٢ ــ الكتاب المقدس نور وسراج :

ولقد أعطى الرب لنا الكتاب سراجا ونورا حتى إذا ما أردنا أن نعاين النور نقول له « بنورك يا رب نعاين النور » ومن خلال إكتشاف الوصية وإنفتاح البصيرة لها ، وإلتهاب القلب بحرارة الحب نحوها ، وإنجذاب الروح نحو تنفيذها ، مهما كانت صعبة

وشديده فى مظهرها ، فإن هذا يعنى أن المؤمن يتحسس طريقه بوضوح وليس فى ظلال أو ظلمة . كل الذين تدربوا على أن يعرفوا مقاصد الله من خلال الكتاب المقدس ، تعزت نفوسهم للغاية ، وأكدت لهم خبراتهم الروحية أن نور الكتاب كاشف وكلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين خارقة الى مفرق النفس والروح ، تستطيع أن تميز ما هو نفسانى مما هو روحانى ، وبالتالى أيضا تكشف ما هو جسدانى لأن ما هو للجسد عداوة لله ، وما هو للروح فهو خضوع وطاعة لمقاصد الله الصالحة الأزلية .

٣ ــ الكنيسة وخبرة آبائها :

لا يعيش المؤمن فى فراغ وأنما هو عضو فى الجسد الواحد ، ولكل مؤمن أب إعترافه ، له مرشده ، عناه الشيخ المختبر الذى تقدم فى المسير الروحانى ، وتدرب على معرفة الخذر من المزالق والإنحرافات والمتاهات ، وعرف كيفية النهوض فى المسير باستقامة دون زلل . مثل هؤلاء فى الكنيسة مشاعل فى الطريق يلجأ إليهم المؤمن لكى يتأكد من النور الذى فيه من خلال النعمة التى فيهم .. هم لا يعطون فتوى شخصيه أو مشيئة خاصة ، ولكنهم يشيرون إلى صحة آليات الروح التى فى القلب ، وسلامة البوصلة المكتشفة فى

الكتاب ، ومدى أمانة الإرادة التى للمعترف فى تنفيذ هذه الوصية وطاعة لمسات روح الله فى الداخل طوبى لمن عثر على مرشد روحانى وأب نصوح ، فإنه ينمو سريعا ، لأن خبرة الكنيسة وزخمها الروحى يحمله هؤلاء الأعمده ليشددوا كل من يريد أن يصعد إلى جبل الرب فى أمانة وإستقامة قصد . يقول البستان « الذين بلا مرشد كأوراق الخريف يسقطون » إن الإرشاد فى الكنيسه لا يتعارض مع طلب مشورة الروح فى القلب ولكن الاثنان يتكاملان ويتفقان ويتحدان ويتواكبان لأن الروح فى الكنيسة واحد .

٤ ــ يفتح ولا أحد يغلق :

بقى الأمر الأخير وهو أن الله يعلن لأولاده مشيئته عن طريق فتح الأبواب المغلقة ، وغلق الأبواب المفتوحة ألم يقل عن مسيحه فى سفر أشعياء « وأجعل مفتاح بيت داود على كتفه فيفتح وليس من يغلق ويغلق وليس من يفتح » (أش ٢٢:٢٢) وهو القائل عن نفسه فى سفر الرؤيا أيضا : « هذا يقولة القدوس الحق الذى له مفتاح داود الذى يفتح ولا أحد يغلق ويغلق ولا أحد يفتح » (رؤ ٧:٣) فهو وحده الذى يهيىء الطريق ويحطم المتاريس ويرتب المناسبات بطرق معجزية ليعلن ويكشف لأولاده عن مقاصده ، وهو أيضا الذى

يقوى مغاليق الابواب حتى يحمى اولاده ويجعل تخومهم فى سلام (مز ١٤٧) . وعلى المؤمن أن يسير عاملا بما يرشده الرب دون أن يكسر بابا مغلقا ، ودون أن يهرب من باب قد فتح له .. إنه يشبه مسيرته بالابواب التى فى المطارات الدولية عندما يقوده الرب إلى احداها سيفتح له الباب بطريقة معجزية ليدخل إلى الدفء والراحة ويمر فى الممرات المباركة التى تقود إلى المراعى الخضراء ؛ أما إذا أغلق الأبواب فلينتظر الرب حتى تبدأ الإشارة الخضراء مرة أخرى ويفتح الباب .

مبارك الرب الذى لا يدعنا لأنفسنا وحدنا بل هو يسير أمامنا ولنهتف مع مرنم إسرائيل الحلو « الرب يرعانى فلا يعوزنى شىء فى مراعى خضر يسكننى على ماء الراحة يربضنى .. إن سرت فى وسط ظلال الموت فلا أخاف شراً لأنك معى عصاك وعكازك هما يعزيانني » .

ما الذي يدعو إرادة الله في خلاصنا ؟

ويمثل أول ما يعطل إرادة الله أن نتمسك بما هو :

١ ـ الإيمان الاعتباري .

فالرسول بولس يقول : « لأني أشهد لهم أن لهم غيرة لله ، ولكنها ليست بإيمان إعتباري ، لأنهم إذ جهلوا بر الله ، وطلبوا أن يثبتوا برهته بأنفسهم لم يخضعوا لبر الله » (رو ١٠ : ٢ ، ٣) .

هناك إيمان وراثي قطعاً ، وهو إيمان مذموم ، وهناك إيمان مضحي ، ولكن هناك أيضاً إيمان إعتباري من نوع إيمان أبينا إبراهيم الذي أختبر حياة الله في نفسه ، لكان مستعداً أن يذبح ابنه طاعة لصوت الله .. ومن نوع إيمان العذراء مريم التي آمنت بكل ما قيل لها من قبل الرب ، وخضعت لها طاعة لله في طاعة مذعنة ، ليكن لي كقولك » . الشخص الذي ليس له إيمان إختباري داخلي لا تخضع إرادته لإرادة الله ، لأنه لا يعرفها ، ولم يختبرها . وهو إنسان طبيعي يعتبر كل أمور الروح حماقة كما يعتبر بولس الرسول ، أما الشخص المؤمن الحقيقي فإنه يعيش مستسلماً لله يعرف مسألته

فى الحياة ويوفق بأهمية السير وراء الرب فى الطريق الضيق . لأجل هذا هو مستعد أن يضحى بكل شئ لكى يسلك الإنسان بالطريق بالحق والحياة . يقول معلمنا بطرس الرسول : « لأن زمان الحياة الذى مضى يكفينا لكى نكون قد عملنا إرادة الأمم سالكين فى الدعارة والشهوات وإدمان الخمر والبطر والمنادمات وعبادة الأوثان المحرمة » (١ بط ٤ : ٣) فالذين تعبدت حياتهم بالمعمودية لا يستطيعون أن يعملوا إرادة الأمم ولا يستطيعون أن يعودوا إلى الأركان الضعيفة ، ولا يمكنهم أن يمارسوا أعمال الظلمة التى كانوا يعملونها قبلا .

٢ ـ التكريس الإلهى :

فمحبة الله التى تمتلكت فى قلوبنا بالروح القدس هى وحدها القادرة أن تسير الجسد وتعطى الإرادة صلابة وتطهر بعضة والروح حرارة وثباتاً . عندما تطلع على القديسين والشهداء وتلاحظ تداريبهم الروحية التى عبروا فيها حروب الأبطال ، يكمن وراء هذه كلها حرارة المحبة التى ملأت قلوبهم وجعلتهم قبل أن يحاربوا فى كل معركة حتى حراسهم وحواسهم وأفكارهم ليكرسوا أنفسهم للذى أحبهم ومات لأجلهم بالكل .

فلنتذكر الشماس المقدس ومقاومته الذى أراد الزمان أن يغير

إرادته من جهة الإيمان فأتوا إليه بزوجته العروس الشابة وكان إسمها مورا ، وطلبوا منها بالقوة وتحت الضغط والإرهاب والتهديد أن تغرى زوجها العريس وتتوسل إليه بكافة التأثيرات العاطفية لكى يرجع عن إيمانه بالمسيح ، وعند إقترابها إلى زوجها المقيد . إذ بهذا الشاب صاحب الارادة القوية يتوسل لأبيه الواقف بجواره : من فضلك غط رأس زوجتى مورا لكى لا أشتم فيها هذه الرائحه الكريهة فتفسد إيمانى .. ولم تكن عندها روائح كريهة ولكنه رأى فى عدم عفتها وحشمتها رائحة كريهة ، وقد وعظها بكلام قوى وقال لها تعالى معى إلى معركة الإستشهاد الجميلة ، وظل يكلمها حتى تأثرت وأعلنت إيمانها للوالى ، الذى أمر بشد شعرها ففرحت كثيراً وقالت له : هلم بسرعة لأنك تعطينى فرصة لأكفر عن خطيتى لأنك كنت تريد أن أسقط زوجى بشعرى والآن سأنال الخلاص بتعذيبك لى عن طريق شعرى .. ويحكى لنا تاريخ هذا الشهيد إنه إتفق مع زوجته عندما يصلبان ألا ينعس واحد منهما ولا ينام إلى اللحظة التى تفارق فيها الروح الجسد .

قال أحد الشهداء للجلاد « إستمروا فى تعذيبنا إطحنونا إلى مسحوق فإن أعدادنا تتزايد بمقدار ما تحصدوننا » وقال آخر عندما إقتلع الوالى عينيه : « إنك باقتلاعك عينى الجسديتين ضاعفت من

حدة البصر الروحى » . لقد كان وراء هذا الصمود العجيب حب شديد للرب يسوع ، ونحن يعوزنا أن نحبه حباً صادقاً حتى تتجمع إرادتنا وتتحد فى إرادته ، ويصير هو الكل فى الكل ، الألف والياء ، البداية والنهاية .

العامل الثالث الذى يدعم الإرادة ويصقلها ويوجهها إلى الخير هو :

٣ ــ صلب الجسد وقهر الذات :

إن النفس لا يمكنها البلوغ إلى حرية مجد أولاد الله مالم تقمع شهواتها ، والرب لم يُصلب إلا لكى نصلب نحن شهواتنا ، ولم يمت إلا لأجل أن نموت عن الخطية ونحيا له ، أتريد أن تخلص وتتحرر من نير العبودية ومذلة الشهوات ؟ إذاً لابد أن تقاوم ميولك وأهواءك وتتمسك بزمام الحياة الداخلية ، وتكبح جماح شهواتك ، وتميت النزعات الجسدية وتقوم وتحمل صليب يسوع ، وتنكر ذاتك ، وترفض كل ما هو عتيق فاسد .. « ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات » (غل ٥ : ٢٤) .. « عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليُبطل جسد الخطية كى لا نعود نستعبد أيضاً للخطية . لأن الذى مات قد تبرأ من الخطية ..

كذلك أنتم أيضاً إحسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا » (رو ٦: ٦و١١) . فإن كنا أمواتاً عن العالم فنحن أحياء بالمسيح وفى المسيح وللمسيح .. لنتذكر القديس العظيم الأنبا أنطونيوس الذى وقف أمام جثة والده وكان قد ترك له أشياءاً كثيرة وممتلكات عدة . قال له ها أنت خرجت برغم أنفك ، أما أنا فسأخرج بإرادتى قبل أن يخرجونى كارهاً ، لقد وقف ضد ذاته وممتلكاته ليقتنى الحياة الأبدية التى هى الحياة الحقيقية .

إن صلب الجسد لا يعنى مقاومة الشهوات الجسدانية الحسية فقط ولكنه يعنى أيضاً محاربة الشهوات النفسية مثل الغضب والهوى والكبرياء والحقد . فداود النبى بإخضاعه القوة الغضبية وإماتته روح الانتقام من شاول أظهر قوة أشد مما أظهرها بقتله جليات الجبار . يقول الكتاب المقدس « لأن إهتمام الجسد هو عداوة لله ... لأنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون ، ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون » (رو ٨: ٥و١٣) .

يقول أحد الآباء الروحيين : الله روح كلى البساطة فما لم نتجرد بالمرة عن عبودية الشهوات الحسية لا نستطيع أن نلهج معه ونتأمل وصاياه . إن النفس الروحانية ماثلة إلى الروحيات ، وإرادتها لا تغير

راحة إلا فى الشركة مع الله ، والنفس الجسدية تستعبد لشهواتها معنى أن أعظم عقاب ينزله الرب على إنسان ، هو أن يسلمه لشهواته ويزيله الرديئه « وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله فى معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق » (رو ١ : ٢٨) .

وهناك عامل آخر يدعم الإرادة الروحانية فى حياتنا هو :

الاستعانة فى حفظ الوصية :

وفى هذا يقول الكتاب المقدس فى العهد القديم : « أما دانيال فجعل فى قلبه إنه لا يتنجس بأطايب الملك ولا بخمر مشروبه » (دا ١ : ٨) .

كيف نجح دانيال فى هذا .. لقد رتب حياته على هذا . لقد وضع فى قلبه أن يموت أفضل من أن يكسر وصيه الله . هذا العناد المقدس هو الذى يعطى للإرادة أن تكون صلبة ، ويسمح للروح القدس أن يدعم إرادتنا الداخلى نحو مشيئة الله . لابد أن إغراءات كثيرة حاربت دانيال مثل كلام الموظفين فى القصر ، ودسم المأكولات ومناظرها الشهية ، ولابد أيضاً أن تهديدات وجهت خشية عقوبة الملك التى قد تنصب عليهم وعلى الموظفين فى القصر ، ولكن دانيال وضع فى قلبه ألا يتنجس .

ضع فى قلبك ألا تدنس بالشهوة الجنسية ، صل للمسيح كثيراً من أجل هذا وقل له أعطنى القوة لكى أصمد وأصمم على حفظ الوصية ، وكما قال النبى عهداً قطعته ألا أتطلع إلى عذراء . هبنى نعمة هذا العهد الذى يحمينى من النظرات الشريرة والأفكار الدنسة والعادات الرديئة . يحكى فى تاريخ الكنيسة عن شابة أتى إليها أحد الشبان مراراً يداعبها ، وفى آخر مرة قالت له ماذا تريد منى ؟ قال لها عيناك الجميلتان قد ملأتا قلبى هوى نحوك . فقالت له تمهل ، وسرعان ما أحضرت مخرازاً وقلعت مقلة إحدى عينيها وقالت له تفضل . ولما رأى الشاب الدم ينزف غزيراً هذا تأثر تأثراً روحياً شديداً حتى تاب توبة حقيقية . إن إرادة الفتاة الصلبة تسربت قوتها إلى الشاب الشهوانى فمنحته قوة لغلبة أهوائه وشهواته .

ضع فى قلبك الا تنجس أذنك بنكت قبيحة ، أو هزار سخيف من الناس والشلل المنتشرة حولك . إذا صممت على هذا فسوف يعمل الروح على حمايتك من هذه العثرة .

ضع فى قلبك ألا تكره أحداً أو تحقد على أحد أو تظن السوء فى أحد ، وكلما رغب الشيطان فى زرع عداوة أو فكر شرير فى

داخلك إقتلع أنت الزوان بالصلاة وحسن النية وأعمال المحبة نحو الذين يضايقونك .

عامل آخر يدعم الإرادة الخيرة فى حياتنا :

٤ ــ الغيرة فى الحسنى :

إذا كان الشباب يميل إلى التقليد والإستهواء والمشاركة فإن الكتاب المقدس وضع لنا أن نقلد ونقتدى بالقديسين فقط « كونوا متمثلين بى كما أنا أيضا بالمسيح » (١كو ١١ : ١) .. وكلما أقترب المؤمن من القديسين عرف فقره وضعفه ومسكنته ، وأختفت منه كبرياؤه وغطرسته وإكتفائيته . فالكتاب يوصينا أن ننظر إلى نهاية سيرتهم ونتمثل إيمانهم ، ونتأمل فى غيرتهم وقدرتهم على قهر نفوسهم ، ومواظبتهم على العبادة وتدريب أنفسهم على الإتضاع والزهد وإحتقار غنى العالم وأباطيله .

إن المسيحى الحقيقى كالنحلة النشيطة تجمع عسلها من جميع الأزهار الجميلة ، يتعلم من واحد الصبر ، ومن آخر الاتضاع ، ومن ثالث الشجاعة ، ومن رابع الإيمان ، ومن مرشد روحى الوداعة ، ومن أحد قديسى الكتاب الطاعة والقداسة ، ومن الرب يسوع نفسه نستطيع أن نقتدى بكمالاته لأنه هو الذى قال بفمه

الطاهر : « تعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب » (مت ١١ : ٢٩) . وقد علمنا الآباء أن من يريد أن يتعلم إحدى الفضائل يلتصق بقديس إختبرها وامتلأ من ثمارها ومواهبها . وعندما تكلم الرسول بولس عن المواهب الروحية فى رسالته الأولى إلى كورنثوس طوّب عملية الإجتهاد فى طلبها إذ قال : « ولكن جدوا للمواهب الحسنى وأيضاً أريكم طريقاً أفضل » (١كو ١٢ : ٣١) ..وهذا الطريق الأفضل هو المحبه التى قال عنها فى (١كو ١٣ : ١٣) : « أما الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة هذه الثلاثة ، ولكن أعظمهن المحبة » . وهكذا جمع بين المحبة والمواهب الروحية بقوله فى مطلع الاصحاح الرابع عشر من نفس الرسالة « أتبعوا المحبة ولكن جدُّوا للمواهب الروحية » ومعنى هذا أن الغيرة الحسنى مطلوبة ، ولكن على شرط ألا تخرج عن دائرة المحبة التى لنا فى المسيح ، لئلا تدخل فى نطاق الذات والغيرة المرة والعداوات ، هذه التى تتجه نحو جهنم .

٨٨٥

معطـــلات الإرادة

ولكن لماذا لا أستجيب بسرعة لإرادة الله ؟

إن أول معطل هو :

١ ــ البر الذاتى والطموح الذاتى :

إن أول معطل يضعف إرادتنا عن أن تتحد بإرادة المسيح هو البر الذاتى ، إحساسنا أننا أطهار وليس فينا عيب حتى إذا ما ذهبنا لأب الاعتراف لا نجد ما نعترف به لأن كل حياتنا طيبة وأخلاقنا جيدة . هذه الحالة تنتج من دورانا حول أنفسنا ومقارنة حياتنا بحياة الشبان الذين حولنا فى المعاهد والكليات ولكن إن فحصنا أنفسنا على ضوء كلمة الله فإننا نكتشف أننا فى الموازين إلى فوق ، ونتأكد من عوزنا وإحتياجنا ، وقد سبق الرب وقال : « طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات » . والذى يزيد البر الذاتى فينا هو فتح آذاننا لسماع المديح من الناس ، وخاصة عندما ننجح فى بعض الأعمال والتصرفات والخدمات .. وهكذا يدخل الشيطان من خلال تركنا حياة التوبة وفحص الذات فحصاً دقيقاً ، وجعلنا نلتفت إلى آراء

الناس ومديحهم وبذلك نفقد الإرادة الصالحة . ومن الأمور التى تميت الإرادة الصالحة فى حياتنا المجد الباطل . فهو لص يسرق كل أمتعتنا ويسلبنا كل ثمار جهدنا ، قال القديس اغريغوريوس : [إن المجد الفارغ لص مخفى مثنكر يرافق المسافر كأنه مثله عابر سبيل ، وبعد ذلك يختله ويقتله حينما يكون أقل حرصاً على ذاته ويظن أنه فى سلامة] . وقال عنه القديس باسيليوس : [إنه يختطف الكنوز الروحية بحلاوة وهو يعد أنفسنا بلذة] . فالله لا يرفع متكبر بل يقاومه ، وإنما يرفع المسكين والمحتاج والمتذلل له إذ مكتوب عنه « المقيم المسكين من التراب . الرافع البائس من المزبلة » (مز ١١٢) . وهناك تدريب نافع أعطانا إياه الرسول بولس وهو : « فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شيء لمجد الله » (١كو ١٠:٣١) . « إن كان أحد يتكلم فكأقوال الله وإن كان يخدم أحد فكأنه من قوة يمنحها الله لكى يتمجد الله فى كل شيء بيسوع المسيح الذى له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين آمين » . (١بط ٤:١١) ولنتذكر قول سليمان الحكيم : « كبرياء الإنسان تضعه والوضيع الروح ينال مجداً » (أم ٢٩:٢٣) .

ومن الأمور التى تضعف إرادتنا التى لنا فى المسيح :

٢ ــ كلام الناس والضغط الإجتماعى :

فإن الشاب (الإنسان) يعيش فى مجتمع ، ومن الأمور الطبيعية أن يكون للجو الاجتماعى تأثيره ، ولكن الشاب (الإنسان) الروحى لا يدع حياته كريشة فى مهب الرياح ولا يسمح لمبادئه وإتجاهاته وأهدافه أن يحددها الناس ، وإنما هو حريص على أن تبقى الحياة الداخلية مغلقة مكرسة تماماً للرب « أختى العروس جنة مغلقة . عين مقفلة . ينبوع مختوم » (نش ٤ : ١٢) . وعلى ذلك يستطيع المسيحى أن يؤثر فى الناس دون أن يتأثر بالأمور الرديئة التى فى الناس . فالرب يسوع شبه المؤمنين بالملح الجيد ، والملح يعطى للتربة ملوحته دون أن يأخذ من الأرض عفونتها .. والنور يبدد الظلمة والظلمة لا تدركه . وكلما كان الإنسان متأكداً من رسالته ومتعمقاً صدق أهدافه فإنه لا يهتز لما يقوله الناس . يذكر فى تاريخ الكنيسة إن أثناسيوس الرسول قيل له : العالم كله ضدك يا اثناسيوس ! .. فقال : وأنا أيضاً ضد العالم .. والرسول بولس يقول لأهل كورنثوس فى الرسالة الأولى « وأما أنا فأقل شىء عندى أن يحكم فىَّ منكم أو من يوم بشر . بل لست أحكم فى نفسى أيضاً . فإنى لست أشعر بشىء فى ذاتى .. لكننى لست بذلك مبرراً . ولكن الذى يحكم فىَّ هو الرب . إذاً لا تحكموا فى شىء قبل

الوقت حتى يأتى الرب الذى سينير خفايا الظلام ويظهر آراء القلوب ، وحينئذ يكون المدح لكل واحد من الله » (١كو ٤ : ٣ــ٥) .. ويعطينا الكتاب المقدس نموذجاً رائعاً لغلبة الأجواء الإجتماعية ، وهو شخصية موسى النبى الذى بالايمان .. « لما كبر أبى أن يدعى إبن إبنة فرعون ، مفضلاً بالأحرى أن يذل مع شعب الله عن أن يكون له تمتع وقتى بالخطية . حاسباً عار المسيح غنى أفضل من خزائن مصر » (عب ١١ : ٢٤) . وفى هذا الصدد يقول الرب يسوع : « كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض » (يو ٥ : ٤٤) ، وفى موضع آخر يقول : « ويل لكم إذا قال فيكم جميع الناس حسناً » (لو ٦ : ٢٦) . أى أن المسيحى لا يسعى إلى إرضاء الناس فى إتجاهاتهم المنحرفة ولكنه إذ يأخذ المسيح فى قلبه فادياً ومخلصاً ومرشداً وموجهاً ، يستمد من الروح القدس الإلهام والقيادة ويدع الناس يقولون ما يشاءون ويحرص كل الحرص أن يعيش بضمير صالح بلا عثرة أمام الله والناس .

٣ ــ الأندفـــاع :

ومن الأمور الخطيرة التى تضعف الإرادة الروحية الإندفاع وعدم التريث ، وأخذ القرارات من واقع إرادة الذات ، والفكر البشرى دون

التريث وإستشارة الرب فى كل شىء ، هذا الإندفاع قد أورث كثيرين هلاكاً .

فلنذكر مثلاً شاول الملك الذى إندفع وقدم الذبيحة لأنه وجد أن صموئيل النبى قد تأخر ، ومع أن تقديم ذبيحة لله أمر ليس رديئاً ، لكن صموئيل أفهم الملك بعد وصوله أن الله لم يقبل منه تقديم الذبيحة لأنه ليس كاهناً ، ولأنه إندفع ولم يطع الوصية .. وأفهمه أن : « الإستماع أفضل من الذبيحه ، والإصغاء أفضل من شحم الكباش » (١صم ١٥ : ٢٢) ونزل القصاص على شاول ، إن الله سيقسم مملكته كما تمزقت جبة صموئيل عندما أمسك به شاول بعد الحديث الذى دار بينهما . ويقال فى تاريخ الكنيسة إن أريوس إندفع فى إحدى العظات وشرح آية « أبى أعظم منى » شرحاً منحرفاً ولأجل قساوة رقبته رفض أن يتراجع ، وملك عليه الشيطان وأخذ يدعم فكره بالآراء المنحرفة والتفسيرات الخاطئه للآيات .

وقد يندفع الشاب فى الحديث مع والديه أو أخوته ومثل هذا الإندفاع يسبب مشكلة خطيرة فى البيت تسبب نكداً وغماً وخسائر كثيرة ، لأجل هذا نحن نحتاج إلى تدريب أنفسنا على التريث والهدوء فى الفكر والقلب والتصرف وإعطاء الرب فرصة أن

يقود سلوكنا وتصرفاتنا مهما كانت صغيرة أم كبيرة ، بسيطة أم هامة . فى كل شىء لنتدرب على أن نعطى روح القيادة الحقيقية .

٤ ــ المفاوضــات مع العــدو :

عندما أرسل الرب موسى لكى يخلص شعبه من العبودية يشرح لنا سفر الخروج كيف أن فرعون رفض أن يسمع لموسى وهرون ، وكيف شدد النير على شعب الله فارسل الرب ضربات كثيرة على المصريين ، وهنا حاول فرعون أن يدخل مع موسى وهرون فى مفاوضات ، فمرة يقول : « أنا أطلقكم لتذبحوا للرب ... ولكن لا تذهبوا بعيداً . صليا لأجلى » (خر ٨:٢٨) ، ومرة أخرى يقول لهم : « اذهبوا إعبدوا الرب .. ولكن من ومن هم الذين يذهبون » (خر ١٠:٨و٩) .. ولما رفض موسى هذه العروض إقترح فرعون الذى يمثل الشيطان : « إذهبوا إعبدوا الرب غير أن غنمكم وبقركم تبقى ... فقال موسى ... فتذهب مواشينا أيضاً معنا . ولا يبقى ظلف » (خر ١٠:٢٤ــ٢٦) .

لا يبقى ظلف لأن هذا هو أمر الرب للخلاص .. فقصة المفاوضات بين موسى وفرعون هى مثل ما يحدث بين الشيطان وكل واحد فينا يريد حياة التوبة وحياة الإرادة الموحده ، الذى يصلى

قائلاً : « وحد قلبي فى خوفك » . يقول له الشيطان : حسن أن تبقى فى حياة الخطية ولا مانع من الذهاب إلى الكنيسة للعبادة، وإن رفض هذا العرض يقول له : لا مانع من الابتعاد عن الأماكن المعثرة ولكن لا مانع من أن ترتبط فكرياً بها وإن أبت النفس هذه العروض يطلب ولو شهوة واحدة أو عرقلة عن التسبيح للرب . ولكن التوبة الحقيقية لا تقبل هذه المفاوضات ، والنعمة تكسر كل كبرياء فينا ، وتطفىء كل شهوة مستعرة ، وتهز كل جمود الأنانية وتحجر القلب . وتنير لنا مواضع الضعف حتى نقوم من سقطاتنا لكى نعمل أعمالنا الأولى ونحفظ منارتنا فى مكانها (رؤ ٢ : ٥) .

٥ ــ الـــترف :

ومن المعطلات التى تمنع الشاب (الإنسان) من أن يحيا حياة الصلابة الحقيقية والرجولة المسيحية الترف والتدلل (الدلع) وهذه هى مشكلة الجيل كله ، فالمجتمع بكل وسائله يسعى إلى تقديم وسائل الترف والراحة .. هذه التى لم يكن يتمتع بها آباؤنا وأجدادنا حتى أن أصعب الموضوعات فى التعليم أصبحت تقدم لنا من خلال الأجهزة الحاسبة والعقل الإلكترونى ووسائل الإعلام المختلفة .

إن الحضارة والمدنية المعاصرة شجعت الشباب على الترف

والتدلل ، كما أن كثيراً من البيوت سايرت روح العصر وشجعت أولادها على عدم التغصب وإجابة كل متطلباته سواء كان هذا حسناً أو رديئاً حتى أن الشباب فقد كثيراً من الصلابة والحزم والإرادة الداخلية الحرة . ولا علاج لهذا الترف إلا بالصلاة العميقة والتوبة المستمرة والدموع الحاره والخلوات المنظمة والنسك والأصوام المتواترة حتى تتقوى الإرادة وتنتصب طالبة معونة الله ونعمته ورحمته .

وفى الكتاب المقدس مثال لأثر الترف فى حياة الناس وهو داود النبى هذا الجبار الذى قال عنه الكتاب : فتشت قلب عبدى داود فوجدته حسب قلبى ، وفى موضع آخر نجد داود يقتل أسداً ودباً ، بل ويهاجم جليات الجبار بمقلاع وقليل من الحصى ، هذا العملاق ينهزم ويسقط فى خطية الزنا ، والسر فى هذا هو الترف . فقد سمح لنفسه أن يعيش على مستوى الملوك وأخذ يتمتع بإمتيازات الملوك وإمتنع عن أن يذهب للحرب تاركاً لغيره هذه المهمه . وكانت النتيجة أن داود صعد إلى سطح بيته فنظر وأشتهى ثم سقط ، وكان سقوطه عظيماً .

وهكذا نحن نحتاج فى هذه الأيام إلى شباب يدرب نفسه على

مقاومة الهزار والكلام الكثير والأكل الكثير والشهوات الداخلية . وقديما قال سليمان : « مالك روحه خير ممن يأخذه مدينة » (أم ١٦ : ٣٢) .

وهناك عوامل أخرى تضعف الإرادة الروحية وأهمها :

العقلانيـــة :

إنى أريد أن أحكم عقلى ، أريد أن أقتنع ، مع أن الإيمان فوق العقل ، وإن كان لا يتضارب معه ، لو أن إبراهيم أبا الآباء سمح لعقله أن يتحكم فى صوت الله له ، لما ترك عشيرته وأهل بيته ، وما قدم ابنه وحيده إسحق ذبيحة على جبل المريا .

الخـــوف :

والخوف هو أحد نتائج ضعف الإيمان . أخاف من الصليب ، أخاف من الفشل ، أخاف من المخاطرة لا أريد أن اخالف ما توافق عليه الناس . أما المسيح فهو يريدنا أن نتبعه حيثما يمضى . حتى ولو إلى جثسيمانى . وشكراً لله أنه بعد الجلجثة ، توجد القيامة ، وشكراً لله أنه فى هذه جميعها يعظم إنتصارنا بالذى أحبنا .

00000

إرادة الله فى كنيسته

وكما أن الله يعلن إرادته بوضوح ، لأولاده المخلصين الساعين نحو الحق ، فإن الله أيضاً يعلن مقاصدة لكنيسته ، كوحدة وكجماعة متحدة :

+ إنه يريدها أن تحيا للحق وتشهد له . ولا تفرط فيه ، ولا تستخدم طرق العالم ومناهجة ، فهى عامود الحق وقاعدته . وإن تجاهلته تفقد كيانها ، ويصبح وجودها بلا معنى .

+ إنه يريدها وحدة ، لا يطيق بها إنقساماً أو تحيزاً ، أو تعصباً أو تفرقاً . إن شهوة قلبه أن يكون الجميع واحداً ، كما أنه هو والآب واحد . وعلى هذا تحرص الكنيسة ، على أن تتأصل فيها وحدانية القلب التى للمحبه .

+ إنه يريدها ساهرة يقظة عابدة مصلية غير متراخية أو متكاسلة تسعى نحو خلاص الآخرين ، وتجرى وراء الخروف الضال والدرهم المفقود ، ولا تضحى بأحد فى سبيل إنشغالها بالأعداد الضخمة والمظهريات الكاذبة .

+ إنه يريدها عروساً بلا عيب أو دنس ولا غضن ، جنة مغلقة ، عينا مقفلة ينبوعاً مختوماً .

المحتـــوى

قضيـة الإرادة مسيحياً ٣

كيف أعرف مشيئة الله ؟ ٧

ما الذى يدعم إرادة الله فى حياتنا ؟ ١٦

معطـلات الإرادة ٢٥

إرادة الله فى كنيسته ٣٤

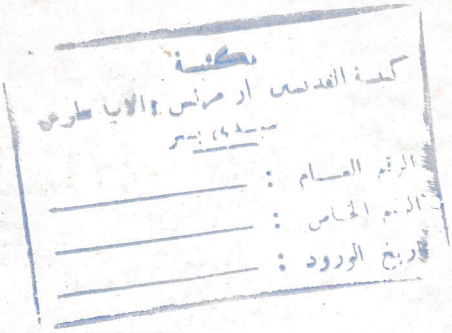

يطلب من
المكتبة المرقسية بملوى — ص. ب ١٣
وجميع المكتبات المسيحية